الصباح الإسلامية
09
إشراف : ياسر السيد
العدد 2513 - السنة التاسعة
الإثنين 6 شوال 1437 - الموافق 11 يوليو 2016
Monday 11 July 2016 - No.2513 - 9th Year

زهد الرسول في الحياة الدنيا

تُعَدّ حياة رسول الله من أنصع الأدلّة على نُبُوّته؛ لما تتّصف به من نقاء ووضوح، ولا يكون ذلك إلا لنبي مُرْسَل من ربّه، لا يُمَثّل نفسه، وإنما يُمَثّل الإرادة العليا؛ مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى × إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى × عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: 3-5]. فانظروا إلى الرسول العابد الذي لا يفتر عن ذكر ربّه في ليله ونهاره، والأمي الذي علّمه شديد القوى، والحريص على أمّته من عذاب رب العالمين، والزاهد في الدنيا رغم أنها أتته راغبة، وانظروا أيضًا إلى عصمة الله له وإلى نقاء حياته؛ ستدركون عندها أن محمدًا رسول من رب العالمين؛ فهذه الحياة النقية لا يمكن أن يكون صاحبها دعيًّا، ولا يمكن أن يكون دجالًا، كما لا يمكن أن يكون طالب مُلْك، ولا يمكن أن يكون رجل دُنيا.

وفي المقالات التالية سُنُقَدّم بعضًا من جوانب حياته، والتي تَدُلّ دلالة واضحة على صِدْق نُبُوّة رسول الله.

زهد رسول الله نظرة الإسلام للحياة الدنيا

إن نظرة الإسلام للحياة الدنيا نظرة فريدة؛ لأنها تخلق إنسانًا متوازنًا يُدرك أن الحياة الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، وأن الآخرة هي خير وأبقى؛ لذلك قال تعالى عن الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]. كما وضع القرآن الكريم المعيار الحقيقي أمام الإنسان عند تطلعه للدنيا: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

فالدنيا في المنظور الإسلامي ما هي إلا مزرعة الآخرة، وهي كذلك مجرّد طريق يعبر عليه الإنسان لوجْهته الحقيقية، وهو ما قاله رسول الله : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[1].

"وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ"؛ يُعَلّم رسول الله أمّته حقيقة العلاقة بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة أكرم وأفضل عند الله، فيقول رسول الله : «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ يَحْيَى[2] بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»[3].

صُور من زهد رسول الله

ومن عظمة رسول الله أن حياته كانت نموذجًا عمليًّا لهذه النظرة الربّانيّة للدنيا، وهذه صور ونماذج من زهد رسول الله ، فقد وصف عمر بن الخطاب بيت وحال رسول الله بقوله:... فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رِمَال حصير[4]، ليس بينه وبينه فراش، قد أثّر الرمال بجنبه، مُتّكئًا على وسادة من أدم حشوها ليف... ثم رفعتُ بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يَرُدّ البصر غير أَهَبَة[5] ثلاثة، فقلتُ: ادعُ الله فليوسِّع على أمّتك؛ فإن فارس والروم وُسِّع عليهم، وأعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، وكان مُتّكئًا، فقال: «أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»[6].

ولقد أشفق أصحاب رسول الله -رضي الله عنهم- عليه عندما وجدوا الحصير قد أثّر في بدنه؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع النبي على حصير، فأثّر في جلده، فقلتُ: بأبي وأمي يا رسول الله، لو كنتَ آذنتنا فرشنا لك عليه شيئًا يقيك منه. فقال رسول الله : «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[7].

وهذا رسول الله -وهو القائد العامّ لجموع المسلمين في الجزيرة العربيّة، ومع ما فتح الله عليه من الفتوح- مستمسكًا بحياة الزهد، مبتعدًا عن الزعامة المتصنّعة، متواضعًا في مأكله ومشربه، وقد لا يجد هذا المأكل في كثير من الأحيان، فقد خطب النعمان بن بشير ، فقال: ذكر عمرُ ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي[8] مَا يَجِدُ دَقَلًا[9] يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»[10].

وكثيرًا ما كان يلتوي رسول الله من الجوع طيلة حياته!! ومن هذه المواقف ما ذكره أبو هريرة بقوله: خرج رسول الله ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومَا». فقاما معه: فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمّا رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسول الله : «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق[11] فيه بُسْر وتمر ورُطب. فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية[12]، فقال له رسول الله : «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ». فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلمّا أن شبعوا ورَوُوا، قال رسول الله لأبي بكر وعمر: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»[13].

لقد كان زهد رسول الله في حقيقته علامة من علامات نبوّته، ودليلًا على صدق بعثته، فقد تؤثر الدنيا في أحدنا فتغيّره، فيصبح عندها موضع انتقاد الجميع، ولكن رسول الله ظلّ على عهده بالزهد، مصاحبًا له، ومقترنًا به إلى موته، وهو ما تقرّره أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بقولها: «مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ»[14].

ولما جاءته الدنيا بما تشتهي كل نفس زهد فيها غاية الزهد، فها هو ذا يوم حُنَين تهون عليه الدنيا كلها ويعطيها دون تردّد لأصحابه وللمؤلّفة قلوبهم، فهي عنده لا تعدل جناح بعوضة، حتى إنه لم يُبقِ منها ما يعوّض فقر السنين وانقضاء العمر الذي تجاوز الستين، ثم يقول للأعراب بعد أن أخذ بعضهم رداءه: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخَافُونَ أَلَّا أَقْسِمَ بَيْنَكُمْ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ كَانَ لَكُمْ عَدَدُ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا...»[15].

نظرة رسول الله للزهد

ورغم زهد رسول الله للدنيا إلا أن نظرته للزهد كانت نظرة رائعة؛ لأنها علّمت الأمّة أن تزهد دون أن تترك إعمار الأرض، فليس عدم التعلّق بالدنيا داعيًا إلى خرابها، بل يعمرها المسلم دون أن يتمسك بمتاعها؛ لذلك يقول رسول الله : «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[16].

«وجعل بينكم مودة ورحمة»

كلمتان معجزتان أحاطت بالحياة الزوجيّة من أطرافها، لا أكتم القارئ الكريم أنني حرت زمنًا في اكتشاف سرّ هذا الجمع القرآنيّ بينهما، ولطالما سمعت الخطباء والمتكلمين يتحدّثون في مناسبة الأعراس عن هذه الآية، ويمرّون بهاتين الكلمتين مرورًا عابرًا، لا يستكنه شيئًا من أسرار ذكرهما، والجمع بينهما، واستعنت بما لديّ من كتب اللغة والتفسير، فلم أهتد إلى ما يروي ظمأي بوضع الكلمتين في نصابهما الصحيح، وخير ما وقفت عليه من التفريق بين المودّة والرحمة، من أقوال السلف من المفسّرين قول السُّدّي: «المودّة: المحبّة، والرحمة: الشفقة».

ومن أقرب ما وقفت عليه من أقوال المفسّرين السابقين والمعاصرين في ذلك؛ قول الإمام الرازيّ: «قال بعضهم: محبّة حالة حاجة نفسه، ورحمة حالة حاجة صاحبه إليه، وهذا لأنّ الإنسان يحبّ مثلًا ولده، فإذا رأى عدوّه في شدّة من جوع وألم قد يأخذ من ولده، ويصلح به حال ذلك، وما ذلك لسبب المحبّة وإنما هو لسبب الرحمة.

ويمكن أن يقال: ذكر من قبل أمرين أحدهما: كون الزوج من جنسه، والثاني: ما تفضي إليه الجنسية، وهو السكون إليه، فالجنسية توجب السكون، وذكر ها هنا أمرين أحدهما: يفضي إلى الآخر؛ فالمودّة تكون أولًا، ثمّ إنها تفضي إلى الرحمة، ولهذا فإنّ الزوجة قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض، ويبقى قيام الزوج بها»(1).

ويقول الشيخ ابن عاشور -رحمه الله-: «فإنّ المودّة وحدها أصرة عظيمة وهي أصرة الصداقة والأخوة وتقاربهما، والرحمة وحدها أصرة منها الأبوّة والبنوّة، فما ظنّكم بأصرة جمعت الأمرين، وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتقان»(2).

ويقول أيضًا: «جُعل بين كل زوجين مودّة ومحبّة؛ فالزوجان يكونان من قبل الزواج متجاهلين، فيصبحان بعد الزواج متحابّين، وجعل بينهما رحمة، فهما قبل الزواج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل وما يتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدّة في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، وهذه الآية كائنة في خَلْق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإبداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما»(3).

ويقارب مؤلّفو التفسير الواضح المعنى المقصود إذ يقولون: «والإنسان الذي يجتمع مع المرأة في الحلال يدرك بوضوح معنى السكنى إليها والميل لها، والهدوء النفسي عندما يزورها، ومن هنا سُمّي المكان الذي يلتقي فيه الرجل بالمرأة سكنًا ومسكنًا، لأنّ فيه تسكن النفس وتهدأ، ويطمئنّ الرجل، ويستريح من وعثاء الطريق، ومشاقّ الحياة الكادحة.

وجعل بينكم مودّة ومحبّة، وصلة روحية قويّة، قد تفوق في غالب الأحيان صلتك بأقرب الناس إليك، والشرع الشريف يلاحظ هذا جيدًا في تقدير الميراث والنفقات والمخالطة الداخليّة، والإسرار إلى الزوجات بذات الصدور.

وجعل بينكم رحمة وشفقة، وعطفًا عميقًا، ليس مصدره الغريزة الجنسيّة، والاتصال المادي، بل مبعثه اختلاط الأرواح، واتصال النفوس، والاجتماع لغرض واحد وبناء عش الزوجيّة على أسس كريمة، ودعائم قويمة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]»(4).

كما قارب ذلك الدكتور الزحيلي في التفسير المنير إذ يقول: «... وجعل بينكم مودّة ورحمة.. وجعل بين الجنسين المودّة أي المحبّة، والرحمة أي الشفقة، ليتعاون الجنسان على أعباء الحياة، وتدوم الأسرة على أقوى أساس وأتمّ نظام، وتتمّ السكن والاطمئنان والراحة والهدوء، فإنّ الرجل بمسك المرأة ويتعلق بها؛ إمّا لمحبّته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك»(5).

وقال سيد قطب -رحمه الله-: «والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصوّر هذه العلاقة تصويرًا موحيًا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحسّ: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ ... ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ... ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».. فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر، مليئًا لحاجته الفطريّة: نفسيّة وعقليّة وجسديّة، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودّة والرحمة، لأنّ تركيبهما النفسيّ والعصبيّ والعضويّ ملحوظ فيه تلبية رغائب كلّ منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد»(6).

ويقول الشيخ الشعراوي -رحمه الله-: «ولو تأملنا هذه المراحل الثلاثة (يعني: السكن والمودّة والرحمة) لوجدنا السكن بين الزوجين؛ حيث يرتاح كل منهما إلى الآخر، ويطمئن له ويسعد به، ويجد لديه حاجته، فإذا ما اهتزّت هذه الدرجة ونفر أحدهما من الآخر جاء دور المودّة والمحبّة التي تُمسك بزمام الحياة الزوجية وتوفر لكليهما قدرًا كافيًا من القبول، فإذا ما ضعف أحدهما عن القيام بواجبه نحو الآخر جاء دور الرحمة، فيرحم كل منهما صاحبه، يرحم ضعفه، يرحم مرضه، وبذلك تستمر الحياة الزوجية، ولا تكون عُرْضة للعواصف في رحلة الحياة.

فإذا ما استنفدنا هذه المراحل، فلم يعُدْ بينهما سكن ولا مودّة، ولا حتى يرحم أحدهما صاحبه فقد استحالتْ بينهما العشرة، وأصبح من الحكمة مفارقة أحدهما للآخر، وهنا شرع الحق سبحانه الطلاق ليكون حلًا لمثل هذه الحالات، ومع ذلك جعله ربّنا سبحانه أبغض الحلال، حتى لا تقدم عليه إلا مُضطرّين مُجْبرين»(7).

ويختلف الكاتب مع الشيخ الشعراوي -رحمه الله- في تحليله لآية الكريمة، فالقرآن الكريم دقيق غاية الدقة في تعبيره، إذ هو يفصل بين حاجة الرجل خاصّة، وبين أمرين مشتركين بين كلا الزوجين؛ فالسكن خصّه القرآن بالرجل، فقال تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.. وأمّا المودّة والرحمة فقد جعلهما أمرًا مشتركًا بينهما، وذلك لحاجة كل منهما الفطريّة إلى ذلك، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾..

والخصّ فهمي لموقع هذه الكلمات: «السَّكَن، المودّة، الرَّحْمَة «من العلاقة بين الزوجين، في النقاط التالية :

1- «السَّكَن» ممّا تتطلّبه فطرة الرجل، وتركيبه النفسيّ أكثر من المرأة، ولذا خُصّ به الرجل في هذه الآية، وهو ما يدعو الرجل إلى البحث عن المرأة، والسعي إليها.

2- و«السَّكَن» النفسيّ يمثّل خطّ الدفاع الأوّل عن العلاقة بين الزوجين، فإذا انهار هذا الخط أصبحت العلاقة على شفا جرف هار..

3- وأمّا «المودّة، والرَّحْمَة» فهما مشتركان بطبيعتهما بين الزوجين، فلا يتصوّر أن تقوم علاقة إنسانيّة بهما، أو بأحدهما من طرف واحد.

4- ففي حال الصحّة والشباب تتجلّى علاقة الحبّ والمودّة بين الزوجين، لأنّ كلًا منهما يعيش في ربيع العمر.. والحبّ ينعش هذه العلاقة ويؤلقها.

5- وفي حال الكبر والضعف تتجلّى علاقة الرحمة، لأنّ ضعف الصحّة في الشيخوخة يجعل الإنسان بحاجة إلى رحمة الآخرين وشفقتهم، وأقرب الناس إلى الزوج زوجه.. فهو يطلع على ما لا يطلع عليه والد ولا ولد، ومن هنا كانت

نساء السلف .. الطريق إلى الجنة

إن تاريخنا الإسلامي مليءٌ بقصص نساء يعجزُ عن أفعالهن -للأسف- كثيرٌ من رجالات اليوم! وليس هذا مجال حديثنا؛ ولكن غايتنا الآن الإبحار في سيرة هؤلاء النسوة، وساعتها لن نجد غرابة ولا دهشة من معرفة لماذا تميز أطفال السلف؟، ولماذا تعثر أطفال الخلف؟.

ولنبدأ رحلتنا مع امرأة من أهل الجنة شاهدها الرسول صلى الله عليه وسلم!

إنها امرأة من أهل الجنة تمشي على الأرض.

يا الله! فما أروع أن يُبشر رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إنسانًا بالجنة، فيعيش مطمئنًا أنه حين يلاقي ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون، سيكون مأواه جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين!

إنها إحدى نساء الأنصار، بايعت رسول الله فأوفت البيعة، إنها من أوائل من أدرك واقر أنه " لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله " على وجه البسيطة، إنها صحابية جليلة، قد لا يعرفها ولا يعرف قدرها الكثيرون على الرغم مما في سيرتها من عبرة وقدوة.

إنها امرأة تركت زوجها من أجل الإسلام!

أسلمتْ كغيرها من السابقين عندما سمعت عن دين الحق في يثرب قبل هجرة الرسول، وكان من أوائل من وقف في وجهها زوجها مالك، الذي غضب وثار عندما رجع من سفره وعلم بإسلامها، ولما سمع مالك بن النضر زوجته تُردد بعزيمة أقوى من الصخر: " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله "، خرج من البيت غاضبًا؛ بل خرج من المدينة كلها؛ لأنها أصبحت أرض إسلام لا مكان لكافر مثله بها، ومات بالشام، ضحت هذه المؤمنة بحياتها الزوجية، وبزوجها، وولدها الوحيد "أنس"؛ من أجل دينها وثباتها على مبدئها، ولم تتردد أو تتراجع!

حينما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، كانت الأنصار ومن كان فيها من المهاجرين مشغولين باستقبال النبي -صلى الله عليه وسلم- فرحين مستبشرين بمقدمه صلى الله عليه وسلم فأقبلت الأفواج لزيارته صلى الله عليه وسلم فخرجت من بين هذه الجموع، ومعها ابنها أنس رضي الله عنهما فقالت: يا رسول الله، إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار، إلا وقد اتحفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك ما بدا لك.

فكان ولدها هذا هو أنس بن مالك الذي اشتهر بخادم رسول الله، الذي لازم الرسول، وتعلم على يده، وروى عنه من الحديث الكثير.

تقدم لخطبتها بعد وفاة زوجها الأول أبو طلحة زيد بن سهل، وكان لا يزال مشركًا، وعرض عليها مهرًا كبيرًا، فتردد؛ لأنها لا تتزوج مشركًا تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت؟ فعندما عاود لخطبتها قالت: " يا أبا طلحة، ما مثلك يُرَدّ، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم، فذاك مهري، لا أسأل غيره ".

فانطلق أبو طلحة يريد النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم ويتشهد بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فتزوجت منه؛ وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام، وحسُن إسلامه على يد زوجته تلك الصحابية الرائعة.

خرج زوجها أبو طلحة، وترك ولده وولدها مريضًا، فمات الولد في غياب والده، وعندما عاد أبو طلحة سأل عن ابنه المريض، لم تخبره بوفاته! بل تزيّنت، وقدّمت له العشاء، ونال منها ما ينال الرجل من امرأته، وبعدها أخبرته بوفاة فلذة كبدها وكبده، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك!

فغضب، وعجب كيف تمكّنه من نفسها، وولدها ميت؟! وخرج يشكوها لأهلها ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فابتسقبله النبي باسمًا، وقال: " لعلّ الله أن يبارك لكما في ليلتكما " [1]، فحملت بولدها عبد الله بن أبي طلحة من كبار التابعين، وكان له عشرة بنين كلهم قد ختم القرآن، وكلهم حمل منه العلم!

جاهدتْ مع الرسول في غزواته، ففي صحيح مسلم وابن سعد في الطبقات بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حُنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقالت: يا رسول الله، إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه! ويقول أنس رضي الله عنه: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى " [2].

قال رسول الله عنها: " دخلتُ الجنة فسمعتُ خشفة، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيْصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك " [3].

وقال صلى الله عليه وسلم: " رأيتني دخلتُ الجنة، فإذا أنا بالرُّميصاء، امرأة أبي طلحة " [4].

لنرى كيف كانت تضحيتها بزوجها وولدها في سبيل إسلامها، ولنرى حجم تقصيرنا، ولنجبر عيوبنا، قبل أن يأتي يومٌ لا ينفع فيه مال ولا بنون، فهل نحن فاعلون؟!